

الشخصية والسياسية

فيرنا شوينارد

ترجمة بتصرف

أ.د. مضر خليل عمر

كيف ينتهي الأمر بالمرء إلى إجراء بحث جغرافي من منطلق فلسفي ونظري معين بدلاً من آخر؟ كيف يُغير ما يحدث في حياة المرء في أماكن وأزمنة معينة نهجه في فهم الظواهر الجغرافية ، مثل تطور مدن أو مناطق حضرية معينة ؟ في هذا الفصل ، ألخص بعض القوى الفكرية والشخصية والسياسية التي شكلت مناهجي الفلسفية والنظرية في البحث الجغرافي . ومن خلال ذلك ، أمل أن أظهر أن التحول إلى جغرافي متخصص يتطلب أكثر بكثير من مجرد تعلم نهج معين من الكتب . بل إنها رحلة غالباً ما تكون فوضوية ، وأحياناً مُربكة ، ومثيرة للجدل بالتأكيد ، عبر رحلة تعلم شخصية وسياسية بقدر ما هي فكرية .

أيامي الأولى : التعلم من "ركبة" أبي لطالما كنت مفتوناً بالسلطة : من يملكها ومن لا يملكها ، وما الفرق الذي تُحدثه في حياة الناس . هذه إحدى أولى العلامات على أنني قد أصبح في نهاية المطاف راديكالية ونسوية في تفكيري حول العالم ومكانة الناس فيه . لست متأكدة من مصدر هذا ، ولكن بالنظر إلى الماضي ، أنا متأكدة من أنه نشأ في طفولتي التي نشأت فيها مع أبٍ يتمتع بسلطة وصلاحيات شبه مطلقة في منزلنا . كان تحدي سلطته أمراً نادراً ومحفوفاً بالمخاطر ، ويؤدي إلى عقاب جسدي ونفسي . أضف إلى ذلك أن والدي كان رجلاً ضخماً ومهيّباً ، فلا عجب أنني نشأت خائفة منه . كانت الحياة مع والدي عاصفة بشكل خاص خلال سنوات مراهقتي حيث بدأت أتمرد على سلطة الكبار .

من الذكريات الحية التي لا تُنسى ، عندما كنت أعود من المدرسة متشوقاً لمناقشة قضايا مثل التلوث والفقر ، محاولاً التعبير عن آراء جديدة حول قضايا اليوم الصعبة ، بينما كنا نجلس حول مائدة عشاء والدي . وبينما كنت أجلس وأبدأ بالحديث ، كان والدي يُصرّ بغضب على أن الآراء الوحيدة المسموح لي بها في مثل هذه الأمور هي آراءه هو . وإذا اختلفت معه ، وهو ما كنت أفعله دائماً تقريباً نظراً لاختلاف سياساتنا ، كانت قبضته تنزل على مائدة العشاء ، فتسقط حبات البازلاء ، وعادةً طبق العشاء بأكمله ، من على الطاولة ، بينما يصرخ قائلاً : "أنا على حق وأنت على خطأ !" . وبينما كانت أمي تُسرع لالتقاط الأطباق المكسورة وتهدة والدي ، كنتُ أغرق في صمت غاضب مؤقت ، لأعود بعناد في يوم آخر لأحاول التعبير عن رأيي رغم غضب والدي وترهيبه . ما تعلمته على مائدة والدي هو أن الرجال لديهم القدرة على قمع النساء - وتحديد كيفية معيشتهم ، لا سيما في الأماكن الخاضعة لسيطرتهم كالمنزل ، وحتى ما يمكنهم قوله والتفكير فيه وما لا يمكنهم قوله . ازداد شغفي بأسباب هذا التفاوت في السلطة ، مع أن دراستي وحياتي عموماً لم تبدأ بإعطائي إجابات عن أسباب استمرار هذا التفاوت .

تعلم الجغرافيا بأسلوب الوضعية

كشابة تعرضت للإسكات والترهيب بانتظام في منزلها ، كنت أتطلع إلى حرية البحث والنقاش التي توفرها الحياة الجامعية . لم أكن أتخيل حينها أن الجامعات هي أيضاً أماكن تُنازع فيها المعرفة بشدة ، وأحياناً بعنف ؛ وأن المعرفة بحد ذاتها شكلٌ قوي من أشكال القوة ، وشيء يمكن استخدامه بطرق قمعية وتحريرية . ربما يكون من الإنصاف القول إنني ، خلال معظم أيام دراستي الجامعية ، ظللتُ جاهلاً إلى حد كبير بأن علماء الاجتماع يختلفون حول وجهات النظر الفلسفية والنظرية التي يمكن استخدامها للمساعدة في تطوير

تفسيرات للظواهر . وبصفتي طالبًا متخصصًا في علم النفس ، اكتشفتُ أن لدينا نظريات حول كيفية عمل الإدراك أو حول النفس الداخلية ، والتي كنا نختبرها استنتاجيًا مقابل بيانات تجريبية . عندما أفتعنتي دورة في تنمية العالم الثالث بالانتقال إلى التخصص الرئيسي في الجغرافيا (على عكس دوراتي الأخرى في الجغرافيا ، حيث نظرنا هنا في أوجه عدم المساواة في القوة ، على سبيل المثال بين دول العالم الأول والعالم الثالث) ، تعلمتُ شرح الظواهر الجغرافية بطرق إيجابية مماثلة .

كنتُ في قسم جغرافيا ، حيث سادت الفلسفة الوضعية والنظريات الجزئية للتنمية الحضرية والإقليمية (أي النظريات التي تُرجع ظواهر مثل التحضر شبه الحضري أو التحديث العمراني إلى أسباب جزئية مثل تعظيم المنفعة الاقتصادية الفردية) ، ولكن نادرًا ما قورنت بفلسفات علمية منافسة أخرى ونظريات التغيير الاجتماعي المكاني . ومع ذلك ، فقد أثرت هذه المنظورات على كل ما فعلناه . فلا عجب إذاً أنه عندما طُلب مني قراءة كتاب ديفيد هارفي "التفسير في الجغرافيا" ، وهو سرد موسع للتفسيرات الوضعية في الجغرافيا ، لفصل دراسي في الفكر الجغرافي ، لم أقرأه كمنافشة لأحد المناهج الفلسفية المحتملة للجغرافيا ، بل ببساطة كطريقة للتفسير العلمي . ولا عجب أيضًا أنه أثناء دراستي للنظريات الجزئية للتغيير الحضري والإقليمي ، ظللتُ أشعر ، على مستوى ما ، بأن قضايا القوة الاجتماعية قد أُهملت .

بدايات جذرية

في مرحلة الماجستير ، بدأتُ أتساءل ، ضمناً على الأقل ، عن المناهج الوضعية في الجغرافيا ، وأدركتُ أن الجغرافيين اختلفوا ، أحيانًا بشدة ، حول النظريات التي ينبغي عليهم استخدامها للمساعدة في تفسير ظواهر مثل تدهور المدن الداخلية أو المناطق . كان اهتمامي القديم بقضايا السلطة الاجتماعية يُشعرنني بعدم الرضا عن مناهج التفسير الاقتصادية الجزئية والسلوكية الشائعة لدى العديد من الأساتذة في جامعة تورنتو . ومع ذلك ، ومثل معظم الطلاب ، لم أكن متأكدًا مما يجب فعله حيال هذا الأمر . على الرغم من أن واحدًا أو اثنين من الجغرافيين البشريين في هذا القسم قد "انغمسوا" في النظريات والمناظرات الجذرية ، مثل كتابات مانويل كاستيلز عن المدن كمواقع للاستهلاك في الرأسمالية المتقدمة ، إلا أن الجغرافيا كانت عمومًا قسمًا محافظًا .

وبالتالي ، في الغالب ، كان هذا القسم الفرعي ، الذي يزداد نفوذًا ، متجاوزًا إلى حد كبير . نتيجةً لذلك ، لم يشجع أعضاء هيئة التدريس في القسم الطلاب على استكشاف مناهج أكثر جذرية في الجغرافيا . كما كان لدى أعضاء هيئة التدريس ، الذين يكاد يكونون من الذكور بالكامل ، شعورٌ قويٌّ بالتسلسل الهرمي والامتياز فيما يتعلق بإخبار الطلاب بكيفية إجراء بحث جغرافي "جيد" أو عدم القيام به . اكتشفتُ ذلك ، على سبيل المثال ، عندما تعاملتُ مع أحد الأساتذة الذي أصرَّ على أنني أرغب في تناول عملي من منظور النمذجة الاقتصادية الجزئية لو حاولتُ ذلك بجدية . لقد ذهبتُ إلى أبعد من ذلك بما يكفي لقراءة أعمال مهمة مثل نظرية راولز في العدالة . كما عملتُ على تطوير مهاراتي الإحصائية متعددة المتغيرات ، لكنني وجدتُ نفسي أكثر انبهارًا بالافتراضات الإشكالية العديدة التي تستند إليها هذه الطرق في معالجة البيانات وشرحها .

لم أكن أعرف الكثير عن أي ارتباطات واضحة ، مكانية كانت أم غير ذلك ، وجدتُها . ربما لم تكن نظريات المستوى الفردي الجزئي للتغيير الحضري والإقليمي ، والتحليل الإحصائي متعدد المتغيرات ، مناسبة لي ! ومع ازدياد إحباطي من هذه المناهج في البحث الجغرافي ، ازداد اهتمامي بمعرفة ماهية الجغرافيا "الجذرية" . سمعتُ طالب دكتوراه يناقش عمله مع أستاذ تخطيط حضري ، وكان برفقته طالب آخر في الردهة ، ذات يوم ، فقررتُ التحدث معه . أتذكر أنني شعرتُ بالخجل وشعرتُ بأن هذا الموضوع "محرم" عندما أوقفته وسألته عن الموضوع . لسببٍ ما ، تردد في الحديث عنه : كلمة أو كلمتين ، وكان في طريقه . لذلك

قررتُ أن أكتشف الأمر بنفسني . ولأنني لم أكن أعرف الكثير من الجغرافيين العاملين في هذا المجال ، بدأتُ بقراءة مصدر رئيسي ، وهو كتابات كارل ماركس . كانت رحلة فكرية آسرة ، وإن كانت وحيدة . لكن كلما قرأتُ أكثر ، ازداد فهمي أن النظرية الماركسية تُجادل **بأن الاختلافات في السلطة على المستوى الكلي في المجتمع ، ولا سيما اختلافات مواقع الناس داخل البنية الطبقية للمجتمع ، هي السبب الرئيسي لازدهار بعض الناس والأماكن ، بينما يُكافح آخرون من أجل البقاء .**

على سبيل المثال ، أدركتُ أن التحولات المفاجئة والسريعة في استثمار رأس المال داخل وخارج أماكن مثل الأحياء الحضرية أو المدن ذات الصناعة الواحدة ، هي التي تُحدد من يعيش في هذه الأماكن وكيف (على سبيل المثال، غني أم فقير ، مُسكن أم مُشرّد ، موظف أم عاطل عن العمل) . بدأتُ بقراءة أعمال ماركسية أحدث ، مُستوحاة في معظمها من مُفكرين بنيويين فرنسيين ، تتناول أسئلة مثل : لماذا أُعيد تطوير البيئات الحضرية للمواطنين الأكثر ثراءً بينما كان الفقراء يفقدون منازلهم . تدريجيًا ، ورغم صعوبة التعبير أحيانًا ، بدأت أسباب تغير المدن والمناطق بطرق أدت إلى ظهور مشاكل مثل التشرّد ، وتراجع التصنيع ، واستغلال عمال العالم الثالث ، تكتسب معنى أعمق من منظور عملية كلية (مثل السببية الفردية أو الارتباط الإحصائي) . حتى في هذه المرحلة المبكرة نسبيًا من اكتشاف طرق أكثر جذرية لفهم المجتمع والفضاء ، أدركتُ لاحقًا أن توجهاتي الفلسفية والنظرية الجديدة كانت تُغير نهجي في فهم العالم ، وكذلك حياتي وسياساتي . تماشيًا مع التقليد الفلسفي المادي التاريخي ، أصبحتُ أكثر اهتمامًا بتطوير فهم تاريخي لعمليات التغير الحضري والإقليمي - **فهم يُعنى بتغير ظروف الحياة المادية في المجتمع والفضاء** . كما كانت حياتي وسياساتي تتغيران أيضًا . أصبحتُ أكثر وعيًا ، على سبيل المثال ، بالطرق التي تتشكل بها البيئات الأكاديمية من خلال التفاوتات في السلطة . لم تكن السلطة على المحك فقط في الصراعات حول ما يُعد وما لا يُعد معرفة جغرافية ، بل إن حياتنا العملية كانت تتشكل من خلال مواقعنا المختلفة في هياكل اجتماعية أوسع للسلطة .

على سبيل المثال ، كطلاب دراسات عليا نعمل كمساعدي تدريس ، كنا نفتقر إلى الأمن الوظيفي والمزايا والقدرة على مقاومة ظروف العمل الاستغلالية . عندما بدأتُ في ربط هذه النظريات الجذرية للسلطة بحياتي الخاصة ، بدأتُ أصبح أكثر نشاطًا في القضايا التي تؤثر على الفئات المهمشة نسبيًا (وهو أمر يميز عملي كجغرافي حتى يومنا هذا) . على سبيل المثال ، وافقتُ على العمل كنائب رئيس نقابة مساعدي التدريس ، وتعلمتُ جوانب أخرى من الصراعات على السلطة في الجامعات : أننا لم نكن نستطيع التحدث بصراحة على هواتف المكاتب لأنها كانت مراقبة من قبل ضباط شرطة الخيالة الملكية الكندية الذين يراقبون الطلاب المشتبه بهم "المتطرفين" ، وأن الجامعات لم تكن مجتمعات جماعية عندما يتعلق الأمر بالمساومة وقضايا العمل - خاصة مع مجموعات ضعيفة نسبيًا مثل طلاب الدراسات العليا .

بالطبع ، كنا نتمتع بامتيازات في المجتمع الأوسع الذي كان من الصعب فيه تحمل تكاليف التعليم الجامعي ، وكان أولئك القادرون أكثر عرضة من غيرهم لأن يصبحوا أعضاء فيما أسماه بعض العلماء "نواة النخبة" من القوى العاملة . كنتُ أستيقظ على الحقائق السياسية للسلطة والقمع ، الطرق المتناقضة التي وجدنا أنفسنا بها أنا وآخرون في إطار العلاقات بين الأكثر والأقل نفوذًا في المجتمع والفضاء . كما اتضح أن قسم الجغرافيا في تورنتو لم يكن المكان المناسب لازدهار اهتماماتي الناشئة في الجغرافيا الراديكالية . لحسن الحظ ، استقطبت جامعة ماكماستر القريبة مجموعة صغيرة من أعضاء هيئة التدريس في الجغرافيا الراديكالية (مايكل دير ، روث فينشر ، مايكل ويبر) ، وفي سبتمبر من عام ١٩٨١ ، بدأت العمل على أطروحة الدكتوراه معهم . اتضح أنها مكان رائع لدراسة مناهج أكثر راديكالية في هذا التخصص - مع ندوات حيوية وطلاب دراسات عليا مثيرين للاهتمام لمشاركة الأفكار معهم .

شهدت أوائل الثمانينيات ازدهارًا في المناهج الماركسية للتغيير الحضري والإقليمي في الجغرافيا ، ولكنها تعرضت أيضًا لهجوم من قبل مؤيدي مناهج فلسفية ونظرية أخرى . أتذكر أنني شعرت بالغضب ، على وجه الخصوص ، من الانتقادات الإنسانية التي زعمت أن المناهج الماركسية للجغرافيا حتمية هيكلًا بالضرورة ، وبالتالي أهملت دور الفعل البشري والنضال في التغيير الاجتماعي . وقد كتبت ردًا على إحدى هذه الأوراق (مع روث فينشر) مشيرًا إلى أن التفسيرات الماركسية الأكثر تعقيدًا سببًا للتغيير الاجتماعي والمكاني تعاملت مع البنى الاجتماعية على أنها نتائج مُحددة ، وليست مُحددة ، والتي تشكلها أيضًا الفعل البشري (شونارد وفينشر، ١٩٨٣). ما لم أدركه في ذلك الوقت هو مدى حدة التنافس على المناهج الماركسية وغيرها من المناهج الراديكالية في الجغرافيا داخل أقسام الجغرافيا مثل قسمنا . ويرجع ذلك إلى أن الأساتذة الذين كانوا يُدربوني كانوا في "الصفوف الأمامية" من ردود الفعل المحافظة على المناهج التي تُعارض المناهج التقليدية والإيجابية في هذا المجال.

ومع ذلك ، فقد تجلت هذه الردود أيضًا في عملي . في عام ١٩٨٤ ، نشرت ، مع روث فينشر ومايكل ويبر ، بحثًا بعنوان "التفسير في الجغرافيا البشرية العلمية" ، شرحنا فيه كيف وفّرت فلسفة علمية واقعية ما بعد الوضعية الأساس لاختبار علمي دقيق للفرضيات في التفسيرات الماركسية للتغيير الاجتماعي والمكاني (شونارد وآخرون، ١٩٨٤). في ذلك الوقت ، عزوت اهتمامي بكتابة هذه المقالة إلى اهتمامي القديم بقضايا فلسفة العلوم . لكنني أدركت لاحقًا أنها كانت أيضًا بمثابة ردٍّ على أعضاء هيئة التدريس في قسمنا الذين استمروا في الإصرار على وجود طريقة علمية واحدة فقط لدراسة الجغرافيا البشرية ، وأن الجغرافيا الماركسية بطبيعتها غير علمية ، ومحاولة لتشجيع الآخرين على توسيع آفاقهم والاعتراف بإمكانية إنجاز عمل دقيق ومهم من وجهات نظر فلسفية ونظرية متنوعة .

كان موضوع بحث الدكتوراه الذي اخترته هو النضال من أجل السكن التعاوني لذوي الدخل المحدود في كندا . اهتممتُ بدور الدولة الرأسمالية في تنظيم الصراعات من أجل السكن البديل (أي السكن غير المُسلع) ومدى قدرة المجموعات الشعبية على تحقيق غايات تقدمية ضمن حدود سياسات وإجراءات الدولة . ووفقًا لنهج سببي مُعقّد لاستخدام النظرية الماركسية (ينظر إيدل، ١٩٨١)، لم تُصوّر الدولة كهيكُل يُحدّد النتائج في المدن والمناطق (مثل أنواع مُعيّنة من مشاريع الإسكان الاجتماعي) ، بل كـ"ساحة صراع" حول السلطة لتحديد كيفية إسكان ذوي الدخل المحدود والمتوسط (ينظر شونارد وفينشر، ١٩٨٧). وأخيرًا، تمكنتُ من استخدام نهج نظري سمح لي بطرح أسئلة حول كيفية تطور الصراعات على السلطة ، ومن "فاز" ومن "خسر" نتيجةً لذلك ! من بين العديد من اللحظات التي لا تُنسى من أيام العمل على أطروحتي ، تبرز لحظة واحدة من حيث تأثيرها على وجهة نظري حول سياسات البحث الجغرافي .

كان هذا أول لقاء لي مع ناشط بارز في حركة الإسكان التعاوني الكندية . كنا نتناول الغداء في شارع كوين بتورنتو ، وكنت أمل في إقناعه بمساعدتي . التوصل مع الناشط وصانعي السياسات الذين سيساعدون في تحويل مشروعي إلى واقع . تحول حديثنا إلى سؤال : لماذا يجب عليه مساعدتي في بدء هذا المشروع البحثي ؟ أتذكر أنني قلت شيئًا عن كيف سيساعد ذلك في توثيق ليس فقط التغييرات في السياسات على مر الزمن ، بل أيضًا تاريخ النضالات من أجل السكن التعاوني في أماكن مثل تورنتو ؛ مما يزيد من معرفتنا بالحركة ونتائجها . قاطعني بشوكة تطعن الهواء للتأكيد : "لكننا نعرف كل ذلك بالفعل". وبينما كنتُ جالسًا ، وغروري يتلاشى بسرعة ، أدركتُ أنه كان محققًا تمامًا .

كباحث ، قد أتمكن في أحسن الأحوال من تجميع أجزاء قصة السكن التعاوني ، لكنها في النهاية قصتهم ؛ أي قصة الأشخاص الذين كانوا يقاتلون في الخطوط الأمامية من أجل بديل سكني غير تضخمي . ما الذي يمكن للباحثين ، وما ينبغي عليهم ، أن يساهموا به ، أبعد من مجرد إعادة سرد قصص ومعرفة

الآخرين ؟ كيف يُمكننا إجراء بحوث جذرية تُمكن الفئات المهمشة التي نعمل معها ؟ مع أنني لم أكن أملك حينها ، ولا أملك الآن ، جميع الإجابات عن هذه الأسئلة الصعبة ، إلا أنني أعلم أهمية الاستمرار في طرحها على أي بحث جغرافي نقوم به . فهي **تُذكرنا بوجود فجوات جوهرية واختلالات في موازين القوى بين عالم البحث الأكاديمي والصراعات الواقعية من أجل التغيير الاجتماعي التي نسعى للتواصل معها** . وأن كون المرء جغرافياً جذرياً يعني جزئياً الوقوع في فخ التناقضات المستمرة للنشاط في المجال الأكاديمي ومن خلاله.

من المقالة إلى النار؟

الحياة كأستاذة مبتدئة، راديكالية،

كانت دراساتي للدكتوراه تقترب من نهايتها ، وسرعان ما وجدت نفسي أواجه تحديات كوني عضواً راديكالياً في المجال الأكاديمي . عندما عُيِّنْتُ في منصبٍ وظيفيٍّ ثابتٍ في القسم الذي أكملتُ فيه درجة الدكتوراه نفسه (غادر من دربوني) ، واجهتُ موقفاً كنتُ فيه الأستاذة الماركسية الراديكالية الوحيدة في القسم ، والمرأة الوحيدة . للأسف ، أصبحت هذه الاختلافات أساساً لتهميش زملائي لي ولعملي وطلابي . إنَّ تصنيفك كعضو "آخر" أو مختلفٍ في القسم (ينظر كوبايشي، 1997 حول عمليات التمييز) هو عملية تدريجية - عملية تتسلل إليك من خلال تجارب يومية عادية . أتذكر أنني شعرتُ بالحيرة والإحباط في البداية ، على سبيل المثال ، عندما انتهى الأمر بطالب تلو الآخر في مكتبي يُخبرونني أنه على الرغم من اهتمامهم بإجراء أبحاثٍ جغرافيةٍ من وجهات نظر راديكالية ، إلا أن أساتذة آخرين كانوا ينصحونهم بعدم ذلك لأنه "ليس بحثاً حقيقياً" أو "لن يؤمن لهم وظيفة" ، وهكذا .

كنتُ أعرض هذه النصائح ضيقة الأفق بتذكير الطلاب بأن الجامعات ، من حيث المبدأ على الأقل ، هي أماكن يمكن فيها لوجهات نظر ومناهج بحثية متنوعة أن تزدهر ، وقد ازدهرت بالفعل ؛ ففي النهاية ، كان النقاش حول مجموعة من وجهات النظر هو ما يُعزز المعرفة ، وليس الجميع يفعل ويفكر بالطريقة نفسها ! كما أصبح الفرق الذي تُحدثه كوني امرأة أكثر وضوحاً . فبينما كنتُ على مستوى الدراسات العليا ، افترضتُ بسذاجة أننا النساء "متساويات" ، كان من الواضح جداً ، كعضوة هيئة تدريس مبتدئة ، أننا لسنا كذلك على الإطلاق . على المستوى الشخصي ، تراوحت العلامات بين كل شيء ، من تذكير الزملاء الذكور لي بأنه إذا "لم تنجح مسيرتي المهنية" ، يُمكنني دائماً "البقاء في المنزل مع الأطفال" ، إلى التعليقات غير اللائقة على مظهري ونواياي المتعلقة بالإنجاب ، إلى التجاهل عند التحدث في اجتماعات هيئة التدريس (إلا إذا أكد أحد أعضاء هيئة التدريس الذكور على ما قلته بأنه مهم ويستحق الرد) ، إلى التعرّض للمضايقة المهنية . كان الأخير مؤلماً ومُحزناً بشكل خاص - مُضرّاً بصحتي وقدرتي على أداء عملي .

أوضحت أحداث أخرى أن أنواع الاختلاف السلبي الشخصي الذي كنت أعاني منها كانت جزءاً لا يتجزأ من نظام ، التمييز ضد المرأة في الجغرافيا . أتذكر بوضوح ، على سبيل المثال ، أول عملية توظيف لأعضاء هيئة التدريس كنتُ مطلعةً عليها بعد أن أصبحتُ أستاذة مبتدئة . ما كان لافتاً للنظر في هذه العملية هو الطريقة التي تُقيّم بها المرشحات وفقاً لمعايير مختلفة تماماً وغير مناسبة مقارنةً بنظرائهن من الرجال . كان يتم تقييم المرشحات وفقاً لمعايير الجدارة الأكاديمية المعتادة (مثل عدد المنشورات ، والمنح ، والجوائز الخاصة) ، بينما كان يتم تقييم المرشحات ، وهو أمر بدا لي غريباً آنذاك ، وفقاً للظروف الشخصية التي "قد" تؤثر على حياتهن العملية (لا سيما ما إذا كان للمرأة شريك ذكر في مدينة أخرى أم لا، وبالتالي ستضطر إلى التنقل إلى عملها ، وربما تقضي وقتاً أقل في الحرم الجامعي) .

إن عدم المساواة بين الجنسين في مثل هذه التقييمات واضحة : يجب تقييم المرشحات وفقاً للمعايير نفسها بناءً على القدرة على أداء الوظيفة . من خلال تجارب كهذه ، وجدتُ وعيي النسوي يستيقظ تدريجياً ،

كما كان إدراكي لدور اختلافات النوع الاجتماعي في التغير الجغرافي . كما حقّزني زملائي وطالباتي النسويات على التفكير وشجعني على دمج الصراعات حول العلاقات والأدوار الجندرية في عملي على تغيير جغرافيات الدولة المحلية (على سبيل المثال، شوينارد، ١٩٩٦) . بالنظر إلى أيامي الأولى كأستاذة جغرافيا راديكالية وحيدة في قسم محافظ إلى حد كبير، أعتقد أنه من الإنصاف القول إنني أصبحت ، دون قصد ، مصدر إزعاج لأي انطباعات خاطئة عن الجغرافيا الراديكالية والماركسية والنسوية ، وعن النساء في الأوساط الأكاديمية ، استمرت في هذا المكان . كان مكانًا عدائيًا، وحيدًا ، وصعبًا للعمل ، وقد أثر الضغط المصاحب لذلك سلبيًا على صحتي وعلى رفاهية عائلتي .

الإعاقة والتميز في عام ١٩٩٠، شُخصتُ بالتهاب المفاصل الروماتويدي ، وهو مرضٌ عضالٌ يصيب الجهاز المناعي ، ويتسم في حالتي بالتهابٍ شديدٍ ومتواصلٍ في جميع مفاصل الجسم . كان هذا المرض بمثابة ضربةٍ شخصيةٍ مُدمرةٍ لشخصٍ في أوائل الثلاثينيات من عمره ، لديه مسيرة مهنية جديدة وأسرة شابة . كما اتضح لاحقًا ، كان بمثابة ضربة مهنية مُدمرةٍ لأنه مثل بداية كفاحٍ طويلٍ وشاقٍ لتلبية احتياجاتي كأستاذة من ذوي الإعاقة . بموجب قوانين حقوق الإنسان الكندية ، يُطلب من أصحاب العمل ، كالجامعات ، تلبية احتياجات العمال ذوي الإعاقة إلى حدٍ يُسبب لهم مشقةً لا داعي لها (عادةً ما تُعرّف بتكاليف مالية باهظة) . ولكن في كثيرٍ من الأحيان ، كما في حالتي ، يصعبُ الحصولُ على الحقوق القانونية التي يتمتع بها العاملون من ذوي الإعاقة من حيث المبدأ عمليًا .

علاوة على ذلك ، ساهمت إعاقتي وكفاحي من أجل الحصول على سكن في إبرازي كشخصية مختلفة بشكل سلبي أكثر مما كنت عليه كأستاذة راديكالية ونسوية . غطت كفاحي من أجل الحصول على سكن كل جانب تقريبًا من جوانب عملي كأستاذة من ذوي الإعاقة - بدءًا من الحاجة إلى موقف سيارات مُيسرٍ بجوار المبنى الذي عملت فيه (نضال دام ثمانية أشهر) وصولًا إلى الحاجة إلى الوصول إلى الطابق الأرضي والمصعد إلى المكتب الذي عملت فيه (لأكثر من عامين) ، و وصولًا إلى مكافحة الطرق التمييزية في تقييم أدائي الوظيفي ودفع أجر العمل الذي قمت به (لأكثر من عقد) . ساعدتني هذه النضالات وغيرها أيضًا على إدراك أهمية التنوع في الجغرافيا الراديكالية والنسوية ، وضرورة فتح فئات مثل "المرأة" و"الطفل" و"الرجل" أمام التنوع في مكان وكيفية عيش الناس - كأشخاص ذوي إعاقة أو غير ذوي إعاقة، مغايري الجنس أو المثليين ، على سبيل المثال (شونارد و غرانت، 1995).

كما لفتت انتباهي إلى العوائق الاجتماعية والمكانية العديدة التي تواجهها النساء والأطفال والرجال ذوو الإعاقة في كفاحهم من أجل الإدماج . وقد اكتسبت تجاربي الشخصية ، مثل الاضطرار إلى اتخاذ إجراءات قانونية ضد صاحب العمل ، والكفاح لأكثر من ١٢ عامًا من أجل توفير تسهيلات في العمل ، معنىً سياسيًا ، كما أدركتُ من خلال الإعاقة في البحث والنشاط ، كم من النساء والأطفال والرجال ذوي الإعاقة يناضلون ، يومًا بعد يوم ، للحصول على فرص غالبًا ما يعدها غير ذوي الإعاقة أمرًا مفروغًا منه . لحظات شخصية ، كالمرّة التي أجبرت فيها على الوقوف في جلسة مؤتمر وأنا أتألم بشدة لأن أحدًا لم يتنازل لي عن مقعد رغم توسلاتي لهم ، تتبادر إلى ذهني وأنا أشاهد نساء معاقات جسديًا يكافحن لدخول غرفة بدون باب آلي ، أو طفلًا مشوه الوجه ينسحب من استهزاء الأطفال الآخرين ، إلى اللعب المنعزل . الشخصي سياسي بعمق - يربطنا بتهميشنا ، وشعورنا بالغضب ، وتنوعنا.

دروس الجغرافيا:

ربط الشخصي والسياسي بالفلسفي والنظري

أصبحت الجغرافيا المعاصرة تشمل تنوعاً غنياً من وجهات النظر الفلسفية والنظرية . لقد تحدثت هنا

عن كوني جغرافية راديكالية ، نسوية ، من ذوي الإعاقة ، وعن بعض الأمور التي تعلمتها خلال مسيرتي . من بينها استحالة فصل هويتنا عن ماضينا ، وكيف نمارس الجغرافيا من حيث كنا ، وكيف وقعنا في فخ عمليات الاختلاف . ربما يكون من الأسهل رؤية ذلك من الهامش - من وجهات نظر مثل كوني عضو هيئة التدريس الوحيدة في قسم ، أو كوني الأستاذة الوحيدة من ذوي الإعاقة الواضحة ، على سبيل المثال . من الصعب أن نرى الأمور من منظور ذي امتياز بسبب ما يُصاحب ، على سبيل المثال ، من اعتيادٍ واعتبارٍ مُسلّم به ، من كون المرء أبيض البشرة في أماكن البيض .

ومع ذلك ، من الضروري أن نتعلم ربط كيفية ممارستنا للجغرافيا بهذه الطريقة ، ليس فقط لنحترم ونتعلم من التنوع في الأفكار الفلسفية والنظرية ، بل لنكون على دراية بالأشخاص ووجهات النظر التي تبقى "خارج نطاق مشروع" الجغرافيا . أعني بذلك مجموعاتٍ مثل ذوي الإعاقة ، الذين تُعدّ وجهات نظرهم وخبراتهم بثنقيفنا الكثير عن كيفية عمل العالم ولمن ، وما الذي يجب تغييره إذا أردنا العمل معاً نحو عالمٍ أكثر شمولاً . من خلال تجاوز حدود المشروع الجغرافي بهذه الطرق ، نفتح مجالنا وأنفسنا لطرقٍ جديدةٍ ومثيرةٍ لفهم وتغيير العالم الذي نتشاركه.